



الحركة
الشيوعية
كان لها دور
ثقافي كبير
في مصر
ولبنان (مروان
طحطح)

الدول العربية: نظام إقليمي مشترك أو خليجي

علي إبراهيم مطر *

يشهد العالم العربي أحداثاً وأزمات يمكن تقييمها ووصفها بأصعب المراحل التي يمر بها، والتي لم تؤثر على إقليمه فقط إنما على النظام العالمي الذي يؤثر به أيضاً. ما جعل هذه المنطقة تدخل نزاعات وخلافات وتقف أمام تحديات تفقد روابطها التي يمكن أن توصلها إلى إنشاء إقليم مشترك.

وقد أصبح الحديث عن الإقليمية العربية كاجتماع واحد صعباً جداً، ليس فقط بسبب الإرهاب الذي يواجهه إنما من خلال الترهيب الذي تمارسه بعض الدول

(إف.ب.)



العربية بمالها وعجرفتها، حتى صارت السيادة العربية شيئاً عابراً لم يعد له قيمة، هذا فضلاً عن مصادرة قرار هذه الدول وتبعيتها وتأثيرها اللامحدود بالنظام العالمي القائم الذي جعل منها أداة لتحقيق مصالحه واستراتيجياته لا سيما من قبل الولايات المتحدة الأميركية المسيطر الأول على هذا النظام. حتى الآن لا يزال البعض يمضي النفس بإنشاء اقليمية عربية أو إحياء النظام الإقليمي العربي الذي لم يلد أصلاً، مسقطاً من حساباته ورؤيته صعوبة. لا بل عدمية. قيام نظام إقليمي عربي من 5 دول فقط، من دون الأخذ بعين الاعتبار الدول الأخرى، على سبيل أن القوي يحكم الضعيف أو الغني من الدول يحكم الفقير. لكن هذا الخيار سيبقى ميتاً لا يمكن احياؤه لا عبر المال ولا عبر القوة، لأن الأساس في قيام كهذا يكون بالاجتماع والتوافق والوفاق، وخير دليل على ذلك الجامعة العربية التي تعتبر بحالة موت سريري، وبالتالي لا يمكن تركيب النموذج الغربي الأوروبي على وجه الخصوص على حالة الدول العربية.

هل يمكن تحقيقه النظام الإقليمي العربي؟

يمكن تعريف النظام الإقليمي بأنه تجمع من دولتين أو أكثر من المفترض أن يجمعها الرابط الجغرافي، فضلاً عن تفاعلها الثقافي اللغوي والتاريخي، ويزداد فيها الترابط والشعور بالهوية الموحدة.

فالأصل في العلاقة بين النظم الإقليمية والنظام العالمي أنها علاقة تبعية، ونجد أكثرية الدول العربية اليوم خاضعة للولايات المتحدة الأميركية التي تسيطر على النظام العالمي حالياً. وأكثر من ذلك أن المنطقة العربية هي مختبر القوى العظمى في النظام العالمي، ويشكل أكبر المرايا العاكسة لعلاقات القوى والتغيرات البنيوية في هذا النظام.

أكثرية الدول العربية اليوم خاضعة للولايات المتحدة الأميركية

ويبقى أكبر التحديات التي تنفي وجود نظام إقليمي عربي أو إمكانية حصوله حالياً، حتى لو بين بعض الدول فقط كدول خليجية وأخرى عربية تقع في القارة الأفريقية. النزاعات العديدة القائمة حتى بين الجيران من الدول العربية، كمصر والسودان أو الجزائر والمغرب أو الدول الخليجية بين بعضها البعض وخير دليل على ذلك خلافات قطر والسعودية ونماذج كثيرة أخرى. هذا فضلاً عن خطر تنظيم «داعش» الذي يمثل خطراً قوياً على مستقبل النظام

العربي ويهدد بشرذمة وتفتت وحداته السياسية ليس في سوريا والعراق فقط بل في مصر والسعودية وغيرهما من الدول العربية. أما الخطر الأكبر فهو انحراف الأولوية العربية عن قضية فلسطين كقضية مركزية عربية وتراجع حدة الصراع ضد الكيان الصهيوني بل وانفتاح بعض الدول (وليس الشعوب) على إسرائيل وقبول انشاء علاقات معها ولو بالخفاء حالياً.

لذلك نرى أن القول بإمكانية ولادة نظام عربي ليس موضوعياً حالياً، وهذا النظام سيولد ميتاً، لأن أكثر دولة ولدت مختلفة أصلاً، بل وحتى مصنعة ومفتتة ولا تتعدى أكثر من سلطة أسرة تحكم. كما أن التاريخ العربي لن يكتب لجامعة الدول العربية أي نجاحات كبرى، وهي التي قبلت بتفريق العرب عندما أخرجت سوريا منها وهي الدولة العربية الأولى الداعمة لفلسطين لقد أتى الحراك العربي والحرب على سوريا وانتشار «داعش» في العراق ليؤكد فعلاً أزمة الهوية العربية لدى البعض وعلى رأسهم السعودية التي تدعم التباعد العربي بدلاً من تقريبه، كما أظهر فعلاً صعوبة حصول أي تقارب، لأن هناك من يعمل على نسف كل الروابط لمصالحه فقط، وبالتالي يمكننا القول بعد ما تقدم من عرض أنه من الصعوبة بمكان قيام نظام إقليمي عربي، وحتى لا يمكن القول إنه يمكن أن يكون هناك نظام إقليمي خليجي لأننا نرى الكثير من الخلافات بين هذه الدول.

* باحث لبناني